**جماليات التلقي ( المحاضرة 1 ) الأستاذ : دعيش**

**ماستر 2 ( دراسات نقدية )**

**ياوس : ( أفق التوقّع : المفهوم و المعالم ) .**

بدأ هـانز روبرت يـاوس عمله النقدي ضمن مقـال بعنوان ( تاريخ الأدب ، تحدّ لنظرية الأدب ) [[1]](#footnote-1)( 97 ) ، وهو أوّّل مقال افتتح به مؤلَّفه النقدي ( من أجل جمالية للاستقبال ) Pour une ésthétique de la réception الذي حاول فيه تقديم نظرية تعيد النظر فيما يسمى بـ : تاريخ الأدب Histoire de la littérature ، منتقـدا بذلك صـورة تطبيق هـذا العلم داخل المدارس و الجامعات الألمانية ، في ظلّ البرامج و المنظومات التعليمية و التربوية ، و أنّ هذا التاريخ إنّما يعيش بمعزل و على هامش النشاط الثقافي للعصر الذي نعيشه ، حتى غدا لا يتجاوز إطار ما هو مدرسي أو حدود ثقافة العائلات البرجوازية التي تهتم بهذا التاريخ بشكل من الأشكال ؛ بل إنّ هذا التاريخ ، الذي كان يعبّر عن هويّة الأمم في الزمن الماضي ، لم يعد إلاّ مادة تقليدية تبلورت فيما يعرف بالتراث ، و أنّ هذا التراث بدوره لم يعد يجسّده إلاّ الكتب و الأعمال التي خلّفها أصحابها منذ ذلك الزمن السحيق ، ممّا أفضى إلى مؤشرات انقراض هذا التاريخ : (( إنّنا حين نعاين البرامج الجامعية ، فإنّنا نلحظ ضمنها بأنّّ التاريخ الأدبي في طريقه إلى الزوال )) [[2]](#footnote-2)( 98 ) .

كما ينتقد ياوس ، إلى جانب صورة التاريخ المُطبّق في المدارس و الجامعات ، صورة هذا التاريخ بين الأوساط الإعلامية و حركة النشر من دوريات و مجلات و موسوعات ، التي يبدو أنّها حلّت محلّ تاريخ الأدب في شكل أعمال جماعية قلّما تنشأ من محاولة الباحثين و الدارسين ؛ و إذا ما كان هناك بحث جاد فإنّّ هذا البحث عمل فردي تتكفّل بنشره دورية متخصّصة ، معيارها الصرامة القصوى في المناهج العلمية المطبقة ، إمّا أسلوبيا أو بلاغيا أو لسانيا أو سيميائيا أو اصطلاحيا ...[[3]](#footnote-3)( 99 ) . إنّ هذه الصرامة العلمية هي التي أملت على تاريخ الأدب الرؤية الموضوعية إلى الأحداث و الوقائع السابقة ، مُحاولة بذلك تطبيق منهج العلوم التجريبية الذي يفسّر الظواهر تفسيرا علّيا ، و يعيد في كلّ مرّة ، و مع كلّ تجربة تاريخية ، بناء التصوّرات و النتائج نفسها تبعا لكلّ تجربة سابقة ، لذلك فإنّ هذا التاريخ ، كما يناقشه ياوس ، يحاول جاهدا الابتعاد عن آلية التسجيل الكرونولوجي ( التعاقبي ) للأحداث و الوقائع ، هذا التسجيل البسيط الذي يهتم بتصنيف المادة التاريخية حسب الاتجاهات العامة السائدة ، و وفق الأجناس الأدبية و معايير أخرى ، حتى يتسنّى له فيما بعد معالجة الأعمال و تناولها كرونولوجيا ( تعاقبيا ) ؛ ثمّ إنّ الاتجاه الثاني بدوره لم يكن كافيا للأخذ بزمام هذه المهمة ، و هو يسعى منشغلا برصد كبار المؤلّفين و المبدعين ، متتبّعا حياتهم و سيرهم و كبريات أعمالهم ، و متقفيا أشهر ما وُجّه إليهم من أحكام تتعلّق بمجموع أعمالهم و كتاباتهم [[4]](#footnote-4)( 100 ) .

إنّ عملا بمثل هذا الشكل لا يعتبره ياوس من باب التاريخ الأدبي ، بل إنّه لا يتعدى أن يكون صورة هيكلية للتاريخ Squellette d'une histoire ، لذلك فإنّ ياوس يقترح نموذجا بديلا للتاريخ الأدبي يستند على ما أسماه بــ : جمالية التلقي ésthétique de la réception ، و هو التصوّر الجديد الذي حاول من خلاله ياوس الإفادة من أطروحة كلّ من الاتجاه الماركسي و الاتجاه الشكلاني في دراسة الأدب و تاريخه ، يقول هولب : (( و يمكن تحقيق هذا عن طريق الوفاء بالمطلب الماركسي في الوسائط التاريخية ، مع الاحتفاظ في الوقت نفسه بما أحرزه الشكلانيون من تقدم في مجال الإدراك الجمالي )) [[5]](#footnote-5)(101) .

لقد حاول ياوس ، ضمن إوالية المنظور التاريخي البديل ، التوفيق بين الانقسام الفكري الحاصل بين مدرستين ، حول تفسير و تقييم الظاهرة الأدبية ، هما المدرسة التــاريخية ( الماركسية ) و المدرسة الجمالية ( الشكـلانية ) Marxisme / Formalisme ، ففي الوقت الذي كانت فيه المدرسة الأولى تقول بالانعكاس في الأثر الفنّي ، و كذا تقييم هذا الأثر بما يعيد تصوير التفاعلات الاجتماعية و التاريخية للعمل داخل العصر الذي وُجد فيه ، كانت المدرسة الثانية تدعو إلى الاعتقاد بالمنظور الجمالي ، و هو المنظور الذي يتعالى على التفسير التاريخي وعلى كلّ دراسة تحاول ربط النصّ أو العمل بجملة السياقات الخارجية التي ساهمت في إيجاده أو كانت شاهدا على وجوده ؛ غير إنّ المحاولتين ( الماركسية / الشكلانية ) ، كما يشير ياوس : ( لم تفلح بعد ، في إعطاء ميلاد لبعض التواريخ الكبرى للأدب )) [[6]](#footnote-6)( 102 ) ، لذا فإنّ ياوس يمارس بداية نقده على المدرستين و التعارض الحاصل بينهما ، كاشفا بذلك شكل و مضمون القصور الذي تخلّل منظور و محاولة كلّ مدرسة .

إنّ القصور الذي يسجلّه ياوس على المدرسة الماركسية ، قولها بالانعكاس في ممارسة الأدب و إنتاج الفنّ ، و أنّ الأدب ما هو إلاّ نقل و تصوير لجملة الوقائع و الأحداث التاريخية المزامنة للعمل ، في حين يؤكد ياوس على ضرورة الاعتقاد بوظيفة الفنّ و الأدب في تحوير و بلورة هذه الوقائع و الأحداث ، و لمَ لا المشاركة في إنتاجها و إيجادها ؟ [[7]](#footnote-7)(\*) ، و بالتالي فإنّ تاريخ الفنّ و تاريخ الأدب ليسا منفصلين عن اشتغال الحياة الواقعية اليومية ، و ليسا مستقلين عن واقع التفاعل الذي يُفترض أن يكون حاصلا بين ما هو فنّي و ما هو واقعي ، يقول ياوس : (( إنّ تاريخ الأدب و تاريخ الفنّ لا يمكنهما أن يحافظا على تجليهما المستقل ، إذا ما عرفنا بأنّ الإنتاج في هذا المجال يتضمن الإنتاج الاقتصادي و الممارسة الاجتماعية ، و أنّ الإنتاج الفنّي نفسه ، يشارك في سيرورة الحياة الواقعية )) [[8]](#footnote-8)( 103 ) . لذلك فإنّ الفنّ و الأدب إنّما يمارسان وجودهما ارتبـاطا ، بالوعي التاريخي ، و داخل الوظيفة الاجتماعية التي تربط بينهما و بين هذا الوعي ، كما أنّ الأدب ليس مرآة سلبية للعالم الخارجي ، و هو انتقاد ياوس لكلّ من لوكاتش و لوسيان غولدمان ، بل إنّ الأدب فاعل في هذا العالم و منفعل به ، مؤثّر فيه و متأثر به ، و هذا مـا يفسّر امتداد العمل الذي أُنتج في ذلك المـاضي ( التراث ) إلى تلقّي الزمن الحـاضر ، رغم احتفـاظه ، علـى حدّ فرض الماركسية ، بصورة و وقائع العصر الذي وُجد فيه : (( إنّ الحطّ من الفنّ ، حتى يكون مجرّد انعكاس بسيط ، هو أيضا الحدّ من الأثر الذي ينتجه هذا الفنّ في معرفة الأشياء التي كانت معروفة من قبل )) [[9]](#footnote-9)( 104 ) .

1. ( 97 ) - IBID ; p p 21 - 80 . [↑](#footnote-ref-1)
2. ( 98 ) - IBID , p 22 . [↑](#footnote-ref-2)
3. ( 99 ) - jauss ; pour une ésthétique de la réception , p 22 . [↑](#footnote-ref-3)
4. ( 100 ) - IBID ; p 23 . [↑](#footnote-ref-4)
5. (101) - روبرت هولب : نظرية التلقي ، ص 152 . [↑](#footnote-ref-5)
6. ( 102 ) - jauss ; pour une ésthétique de la réception , p 31 . [↑](#footnote-ref-6)
7. (\*) - نجد أنّ سارتر يعرّف الأدب بأنّه ليس نقلا حرفيا لجملة الوقائع و الأحداث ، بقدر ما هو أيضا تحوير و رؤية جديدة تتدخل فيها الحرّية الإنسانية ، يقول : (( إذن ، يمكننا أن نعرّف العمل الأدبي بأنّه تقديم خيالي للعالم في حدود ما يستلزم من الحرية الإنسانية )) . ينظر : سارتر : ما الأدب ، ص 73 . [↑](#footnote-ref-7)
8. ( 103 ) - IBID , p p 31 -32 . [↑](#footnote-ref-8)
9. ( 104 ) - IBID ; p 38 . [↑](#footnote-ref-9)